المناظرة في القرآن الكريم بين الإبلاغ والإمتاع

- مناظرة إبراهيم للنمرود في القرآن الكريم أنموذجا -

بقلم:

د / حياة عبيد
قسم الشريعة
معهد العلوم الإسلامية

د/ فتيحة حسيني
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات

جامعة الشهيد حمه لخضر. الوادي

ملخص

المناظرة وسيلة من وسائل الإبلاغ للخطاب القرآني، وقد أكدت نجاعتها ولازالت لأنها منبثقة من النص الإلهي – القرآن الكريم- مؤكدة استمرارية التبليغ، واحترام القرآن الكريم للعقل الإنساني، خاصة ونحن نعيش اليوم العولمة وتحاور الأديان والحضارات، فتبقى هذه الوسيلة خادمة للتحاور والتواصل على المستويين الموضوعي والفني.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، المناظرة، الحوار، الحجة، الإقناع، الجدال، الإبلاغ، الإمتاع.

Abstract

The debate is a mean of communication in the Coran; It has been assuring its efficacy since it has emerged from devine text, the Coran.

It has confirmed the continuity of informing, particulary in our present age where we witness the emergence of globalization and dialogue amongst relegions.

As far as objectivity and aesthelics are concerned, the debate has asserts its role as a mean serving dialogue and communication .

تمهيد

أدت المناظرة ولازالت دورا مهما في إبلاغ الخطاب القرآني، وتحقيق مقاصده في الدعوة والهداية.

وقد استفاد المتلقي قديما وحديثا من المناظرة الموجودة في الخطاب القرآني وذلك من خلال مناظرات الأنبياء لأقوامهم ،أما قديما فقد انتفع العلماء من النص القرآني في مناظراتهم المختلفة الدينية والأدبية واللغوية من خلال التزام أسلوب المناظرة وآدابها الموجودة في النص القرآني.

وحديثا اتخذت المناظرات القرآنية أنموذجا يحتذى في الإقناع في المجال العقيدي وفي الدعوة إلى التوحيد.

ومن خلال الخطاب القرآني وبالضبط من مناظرة إبراهيم الخليل لنمرود نريد أن نصل إلى الهدف المرجو من المناظرة من حيث الإقناع، أي الفكرة التي يريد أن يطرحها إبراهيم ليوصل الخطاب القرآني إلى الآخر، وأيضا من حيث طريقة ولغة المناظرة، وكذا أهداف المناظرة في توصيل معاني الخطاب القرآني.

ولبيان ذلك اعتمدنا الخطة التالية:

تمهيد:

المبحث الأول : تعريف المناظرة وتاريخها.

أولا: تعريف المناظرة.

ثانيا : الفرق بين الجدل والحوار والمناظرة.

ثالثا: أركان المناظرة وقواعدها وآدابها.

رابعا: فوائد المناظرة.

خامسا : نشأة المناظرة وتاريخ تطورها.

المبحث الثاني : المناظرة في القرآن الكريم.

أولا: القرآن الكريم والمناظرة.

ثانيا: أمثلة عن المناظرات في القرآن الكريم.

ثالثا: مناظرة إبراهيم لنمرود.

1/ وجوه ومظاهر الإقناع في المناظرة.(أركان المناظرة –الأدلة–)

2/ وجوه ومظاهر الإمتاع في المناظرة (الدراسة الأسلوبية للمناظرة)

الخاتمة.

المبحث الأول : تعريف المناظرة وتاريخها:

سنتناول في هذا المبحث المفاهيم المختلفة للمناظرة والحوار والجدل، مبينين ما يتعلق بالمناظرة من أركان وقواعد وآداب ثمّ نخلص إلى تاريخية المناظرة وتطورها.

أولا : تعريف المناظرة:

المناظرة لغة: من " نظر، ينظر، نظرا " وهو " تأمل الشيء ومعاينته "[1].

وتُناظِرُهُ، وناظَرَه من المُناظَرَة، والنَّظِيرُ: المِثْلُ، وقيل: المثل في كل شيء. وفلان نَظِيرُك أَي مِثْلُك لأَنه إِذا نَظَر إِليهما النَّاظِرُ رآهما سواءً.[2] والمناظرة من النظِير أو من النَّظَر بالبصيرة.

والمناظرة هي المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل مايراه ببصيرته[3].

وجاء في لسان العرب:" أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه كيف تأتيانه "[4].

أما المناظرة اصطلاحا: فقد جاء في التعريفات للجرجاني قوله :"هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب "[5].

يعرفها الميداني من المحدثين بقوله:" هي المحاورة بين فريقين حول موضوع

،لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره."[6]

فالمناظرة هي إذن :حوار بين شخصين أو فريقين يسعى كل منهما إلى إعلاء وجهة نظره حول موضوع معين، والدفاع عنها بشتى الوسائل العلمية والمنطقية، واستخدام الأدلة والبراهين على تنوعها، محاولا تفنيد رأي الطرف الآخر وبيان الحجج الداعية للمحافظة عليها أو عدم قبولها.

ثانيا : الفرق بين الجدل والحوار والمناظرة:

1- الجدل: لغة من "وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله، وفتلته فتلا محكما"[7].

أمّا اصطلاحا: فيعرفه الراغب الأصفهاني بقوله:"أنّ الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة".[8]

أمّا الجدل عند الشريف الجرجاني فهو"عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها"،

والجدل هو:" القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة".[9]

يقول الدكتور محمد التومي عن الجدل :"سواء أكان الجدل مستمدا من الفتل والشدّ، أم من الصراع والإسقاط ، فالمهم أنّه يطلق على المشادة الكلامية التي تهدف إلى تحقيق الغلبة، ومن هنا قالوا الجدل والجدال هو المفاوضة على سبيل

المنازعة والمغالبة"[10].

ومنه نستنتج أنّ الهدف من الجدل هو الغلبة.

أمّا الغرض والهدف من المناظرة فهو الوصول للصواب وإظهاره، لذا نجد الشيخ أبا زهرة يظهر الفرق بينهما بقوله:"وفي الحق أنّ بينهما اختلاف في الاصطلاح، فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول للصواب في الموضع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه، والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال"[11].

وينقسم الجدل إلى جدل مذموم وجدل محمود، جاء في تفسير الإمام الرازي:" الجدال نوعان: جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل، أما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى لمحمد عليه السلام ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل:125. وقال حكاية عن الكفار أنّهم قالوا لنوح عليه السلام ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ هود: 32 وأمّا الجدل في تقرير الباطل فهو مذموم، وهو المراد بهذه الآية حيث قال تعالى ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ غافر: 4"[12].

نستخلص مما سبق وجود علاقة بين الجدل والمناظرة، فالمناظرة تقوم على مقارعة الحجج وكل طرف يريد الانتصار لرأيه وإبطال رأي مناظره، فالطرفان يتجادلان للوصول إلى الحق، فهما يستعينان بالجدال المحمود، ومنه فالجدال المحمود وسيلة للوصول إلى الحق فهو إذن وسيلة للمناظرة.

2-الحوار:

الحوار لغة: من المحاورة وهي المجاوبة، والتحاور التجاوب، وتقول: كلمته فما أحار إليّ جوابا، وما رجع إليّ حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا أي ما ردّ

جوابا "[13].

أما اصطلاحا: فإنّ " الحوار يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب، فالحوار هو الذي ينطلق في مهمة طرح الفكرة والدفاع عنها ضد تحديات أعدائها وخصومها في مختلف مجالات الصراع "[14].

وقد وردت كلمة "الحوار" في القرآن الكريم في ثلاث مواضع، اثنتان منها في سورة الكهف والثالثة في سورة المجادلة. قال تعالى ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الكهف: 34. وقال أيضا ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: 37 . وقال أيضا في سورة المجادلة ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ المجادلة: 1

فالحوار هو إذن مراجعة الكلام، أو تردد الكلام بين اثنين، والمتناظران يحتاجان إلى تردد الكلام بينهما، هذا يسمع من هذا دعواه والآخر يسمعه منه.

فالحوار بذلك وسيلة من وسائل المناظرة إذ هو يدير المناظرة بين طرفيها.

نخلص إلى أنّ الجدل والحوار كليهما يعتبران محركا ووسيلتا المناظرة، فإدارة المناظرة يحتاج ويتطلب الحوار والجدل فهما بذلك مرتبطان بها ارتباطا وثيقا.

ثالثا: أركان المناظرة وقواعدها وآدابها

أ- أركان المناظرة:

لا يمكن أن تنعقد المناظرة إلاّ بوجود عدّة أطراف، لأنّ الأصل في لفظة المناظرة من حيث المنظور اللغوي من المفاعلة، ويعني ذلك التشارك بين اثنين فأكثر، فاقتضى ذلك تحديد أركان المناظرة والمتمثلة فيما يلي:

1- الركن الأول: المتناظران أو الطرفان وهما فريقان أو شخصان يتحاوران حول موضوع المناظرة[15]، ومن الأحسن وضع لكل من الطرفين اسم شخصية للوضوح أولا وللتفريق بين الشخصيات في المناظرة ثانيا.

وتختلف الشخصيات في المناظرة عن الشخصيات الموجودة في الفنون الأدبية الأخرى كالرواية والقصة، فالشخصية في المناظرة هي:

- شخصية واقعية " ولا تكون في المناظرة خيالية أبدا، فالشخصية يجب أن تكون موجودة في الواقع "[16].
- شخصية ثابتة : فطرفا المناظرة لن يتغيرا بتغيّر النص أو بتطوره مقارنة مع الشخصية المتغيرة في الأجناس الأدبية الأخرى.
- شخصية متكافئة : فطرفا المناظرة لابد وأن يكونا متكافئين، وإن كانا غير متكافئين فليست مناظرة إنّما هي أمر أو تعليم، أمر إن كانت من الخالق، وتعليم إن كانت بين المخلوقين كما هو الحال بين العالم والمتعلم[17].
- شخصية ثنائية : تقوم الشخصية في المناظرة على الثنائية فلا خطاب إلاّ بين اثنين لكل منهما مقامان هما مقام المخاطِب ومقام المخاطَب، ووظيفتان هما وظيفة العارض ووظيفة المعترض[18].
- شخصية عالمة وواعية: انتشرت الثقافة اليونانية في المجتمع الإسلامي منذ فترة مبكرة، وطبقت آثارها في بعض جوانب الحياة وأنواع التفكير، ولكنّها كانت أكثر وضوحا في بيئات المتكلمين ولاسيما المعتزلة الذين وجدوا فيها عونا في مناظراتهم مع النصارى، واليهود والمجوس وغيرهم من الطوائف التي كانت تعتصم بالفلسفة والمنطق وتتخذ منها

سلاحا قويا في الدفاع عن عقائدهم[19].

- شخصية غير محورية: لا توجد في المناظرة شخصية محورية، فالوقت قسمة بين طرفيها، وتبقى الحجج تتقارع حتى تؤول المناظرة إلى عجز أحدهما.

2- الركن الثاني: موضوع المناظرة أو الدعوى: ويلزم لكل مناظرة دعوى وهي الركن الثاني من أركان المناظرة، وهي تبين موقع الطرفين، فالمبادر به معلل، والمعترض عليه سائلا[20].

وتنشأ عن الدعوى في المناظرة أفعال ثلاث: عرض الدعوى ويسمى (الادعاء)، عرض الدليل، ويسمى (التدليل) وأخيرا إعراض عن الدعوى، ويسمى (المنع).

أ- وشروط الادعاء لا تخرج عن خمس[21] :

* أن يعتقد المدعي صدق ما يدعي.
* أن يطالب المخاطب بأن يصدق بدوره هذا الادعاء.
* أن يكون للمدعي بيّنة ودليلا على ما يدعيه.
* أن يكون للمخاطب حق المطالبة بهذه البيّنات وتقويمها.
* أن يكون منطوق الادعاء صادقا، ومفهومه قابلا للتكذيب.

ب- الدليل: ويسمى التدليل ، إنّ الدعوى التي يدعيها أحد الطرفين تصبح مدار الحديث بينهما، فمدعيها يثبتها بالدليل ويسمى (المعلل) والطرف الآخر يمنعها ويسمى (المانع).

ج- المنع : وهو الاعتراض على الدعوى، وله عدة شروط هي[22] :

* أن يكون مرجع المانع هو عين مرجع المعلل، والمرجع هو ما يقصد به قديما

أي موضوع القول، لا ما يقصد به حديثا أي مستدل القول.

* أن يكون منطوقه متصلا بوجه أو بآخر بمنطوق قول المعلل.

* أن تكون حجته معاكسة في قوتها الحجية قول المعلل.

* أن يكون التدليل عليه وتوجيهه لدليله.

3- الركن الثالث: المآل، لابد للمناظرة من أن تنتهي بعجز أحد الطرفين أي فشل أحد المتناظرين في دفع دليل الطرف الآخر وإبطاله.

ب- قواعد المناظرة:

في القرآن الكريم عدة توجيهات وقواعد تؤكد أهمية الالتزام بقواعد المناظرة والتقيد بها، وقد لخصها عبد الرحمن حبنكة الميداني في تسعة قواعد يجب على المتناظرين الالتزام بها وهي:[23]

1/ تخلي كل من الفريقين اللذين تصديا للمناظرة حول موضوع معيّن عن التعصب لوجهة نظره السابقة، وإعلانهما الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة والأخذ بها عند ظهورها سواء كانت هذه الحقيقة وجهة نظره السابقة، أم وجهة نظر من يناظره، أو وجهة نظر أخرى.

2/ تقيّد كل من الفريقين المتحاورين بالقول المهذب البعيد عن كل طعن وتجريح أو سخرية، أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره، وذلك التزاما بقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ . النحل: 125

3/ التزام الطرق المنطقية السليمة لدى المناظرة والمحاورة، ويدل على هذه القاعدة عموم الأمر بأن يكون الجدال جدالا بالتي هي أحسن.

فيجب على المتناظرين ما يلي:

أ- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة.

ب- إثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية.

يلخصه قولهم "إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيّا فالدليل".

4- ألا يكون المناظر ملتزما في أمر من الأمور بضد الدعوى التي يحاول أن يثبتها فإذا كان ملتزما بشيء من ذلك كان حاكما على نفسه بأنّ دعواه مرفوضة من وجهة نظره.

5- ألا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المناظر أيّ تعارض، فإذا نقض كلامه بعضه الآخر كان كلامه ساقطا بداهة.

6- ألا يكون الدليل الذي يقدمه المناظر ترديدا لأصل الدعوى، فإذا كان كذلك لم يكن دليلا وإنّما هو إعادة للدعوى بصيغة ثانية، وسقوط هذا في المناظرة أمر بديهي، وقد يخفى هذا على الخصم إذا استخدم المناظر براعته في تغيير الألفاظ وزخرفتها، ولكنّها حيلة لا يلجأ إليها طلاب الحق.

7- عدم الطعن بأدلة المناظر إلا ضمن الأصول المنطقية أو القواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين.

8- إعلان التسليم بالقضايا والأمور التي هي من المسلمات الأولى، أو من الأمور المتفق عليها بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها، أمّا الإصرار على إنكار المسلمات فهو مكابرة قبيحة، ومماراة منحرفة عن أصول المناظرة والمحاورة الجدلية السليمة وليست من شأن طالبي الحق.

9- قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة أو الأدلة المرجحة إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل المرجح، وإلا كانت المناظرة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء ممارسته.

ج – آداب المناظرة:

وضع علماء فنّ المناظرة جملة من الآداب ألزموا أطراف المناظرة الالتزام بها في تحاورهم وتناظرهم، وقد تعرض أبو حامد الغزالي لذلك في الإحياء مبيّنا آداب المجادل، ويمكن تلخيصها كالآتي[24]:

1–أن يقصد بجداله وجه الله وإحقاق الحق.

2– أن يكون الجدال في خلوة بعيدا عن الرياء وطلبا للفهم وصفاء الذهن.

3– أن يكون المجادل في طلب الحق كناشد الضالة.

4–عدم الجدال في الأوقات التي يتغير فيها المزاج ويخرج عن حدّ الاعتدال.

5–أن يحافظ على هدوئه ووقاره مع خصمه حتى وإن شاغب وأربى في كلامه.

رابعا: فوائد المناظرة[25]:

1- الوصول إلى وضوح الرؤية حول قضية ما لإيجاد قناعة مشتركة حولها.

2- استقصاء جوانب الخلاف ما أمكن حول قضايا معينة، وتجلية ما بين المتحاورين من قضايا خلافية مما قد يوفر حالة من الود، ولذلك قيل " إنّ اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية".

3- الابتعاد عن الأحكام التجريدية في قضايا الواقع، كما أنّ الاستقصاء فيها يجنب النظرات الانفعالية أو القناعات المسبقة.

4- التعمق في دراسة أبعاد القضية وخلفياتها مما يؤدي إلى شمول النظرة وسعتها.

5- التدرب على أصول الحوار وتنظيم الاختلاف والتأدب بآدابه.

خامسا : تطور المناظرة ومكانتها

أ- تطور المناظرة :

1- المناظرة في العصر الجاهلي[26]:

لم يعرف العرب في جاهليتهم المناظرة بأركانها وآدابها وإنما عرفوا شيئا قريبا منها وهو ما يسمى بالمنافرة، وتتجلى في وجود طرفين تنافرا ولكن دون أن يكون للمدعي دليل ولا للمانع دليل، ويمكن القول أنّ المنافرة هي مناظرة لم تكتمل أركانها.

وهناك من ذهب إلى أنّ العصر الجاهلي عرف مناظرات لطيفة تدخل ضمن إطاري الأدب واللغة من جهة والدين من جهة أخرى، فالأول يتعلق بالشعر والشعراء ويدير الحوار فيها العرب أنفسهم، وكتب الأدب والنقد تحتوي على معلومات عن هذه المناظرات التي كانت تقوم بين شاعرين في تفضيل بيت على آخر، وبين ناقدين في تفضيل شاعر على آخر.

أما الثاني فيتعلق بالمعتقدات الدينية، حول وجود الله والحياة بعد الموت وغيرها، وكانت هذه المناظرات تدور بين العرب أنفسهم أو بين العرب وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

والقرآن الكريم مصدر هام في تصوير تلك المناظرات والمجادلات، فهو يحاور العرب كما يرد على أصحاب الديانات الأخرى، فالعرب لم يكونوا في عزلة عن الأمم الأخرى في جاهليتهم بل لهم احتكاك وتعامل مع الشعوب الأخرى، والقرآن حين ردّ على المعتقدات السابقة عليه والمعاصرة له فإنّه يؤكد على عدم وجود تلك العزلة.[27]

2-المناظرة في صدر الإسلام:

يثير القرآن الكريم مشاكل ذات طبيعة دينية تتعلق بالأمور الغيبية، أو ذات طبيعة فكرية تتعلق بالوجود الإنساني وعلاقته بالله، أما السنّة النبوّية فهي تفصل

القرآن الكريم وتشرحه.[28]

دعا القرآن إلى نبذ عبادة الأوثان والتوجه لعبادة الله وحده ، فكان أن ظهرت المناقشات والمناظرات بين فريقين يدين كل منهما بعقيدة تخالف عقيدة الآخر، وقد حوى القرآن الكريم نماذج من مناظرات عقدية كالتي كانت بين موسى وفرعون والأخرى بين إبراهيم ونمرود.

وبعد ظهور الفرق الإسلامية منذ تحدثت الآيات القرآنية عن صفات الله وعن أعمال الإنسان ومشيئته، ومشيئة الله تعالى صارت مثل تلك القضايا محل وموضوع مناظرات طويلة بين تلك الفرق المتنافرة .

وقد دعا القرآن الكريم أيضا إلى النظر والتأمل، والاستنتاج واحترام العقل البشري في قوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ الأعراف: 184 – 185، وإذا كان القرآن قد أباح للعقل البشري التأمل والاستنتاج فلابد أن تختلف العقول البشرية في ذلك فكان ظهور المناظرات دفاعا عن هذه الآراء المتعارضة.[29]

أمّا النبيّ – صلى الله عليه وسلم- فقد أقرّ مبدأ الاجتهاد ودعا إليه[30] ، ومنه فإن اختلاف وجهات نظر المجتهدين قائمة وبديهية، ولا يستبعد بعد ذلك قيام مناظرات ومحاولة كل مجتهد إثبات وجهة نظره[31] ، ولكن يبقى ذلك كله في حدود ضيقة وحالات قليلة في ذلك العصر.

3-المناظرة في العصر الراشدي[32]:

أول مناظرة وقعت في العصر الراشدي مباشرة بعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم- كانت في سقيفة بني ساعدة حول الخلافة، وقد تمت بمبايعة أبي بكر

الصديق، وانتهت بسرعة لأنّ هدفهم كان وحدة المسلمين، وبقيت الخلافات وكانت تحل بالمناظرات الطويلة أحيانا وتفشل في أغلب الأوقات .

وكان من أبرز نتائج الخلافات السياسية والصراعات المسلحة ظهور الفرق الإسلامية من خوارج وشيعة ومرجئة[33].

1- المناظرة في العصر الأموي:

يعتبر العصر الأموي عصر ازدهار المناظرات السياسية والدينية، وقد أدت الانقسامات السياسية في عهد عليّ بن أبي طالب إلى فتح الباب أمام المناظرات العقائدية حين حكم الخوارج بكفر عليّ، وفتحوا الباب أمام علاقة الإيمان بالعمل، وجرت مناظرات بين الخوارج وعلي شخصيا، وأحيانا كان يرسل عبد الله بن عباس مناظرا عنه.

وانقسم الخوارج أيضا فرقا عديدة، وكان لكل فرقة نظريتها التي تدين بها، وجرت بين هذه الفرق مناظرات واحتج كل فريق لرأيه[34].

ازدادت المناظرة ازدهارا بظهور الفرق الكلامية خاصة بنهاية القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني، بل إنّ بعض الناس من غير المتخصصين كانوا يتعصبون لمذهب معين، وقد أورد المرتضى في أماليه " أنّ رؤبة وذا الرّمة اختصما عند بلال بن أبي بردة وتناظروا في القضاء والقدر، وقد برزت عدة أنواع من المناظرات سياسية وكلامية وغيرها، كما ظهر نوع جديد من المناظرات وهي المناظرات الفقهية، وكان أبو حنيفة نموذجا لذلك، فقد كان مناظرا بطبعه يناظر في المسائل الفقهية."[35]

2- المناظرة في العصر العباسي :

عرف العصر العباسي عاملين أساسين أديا إلى تسريع الاختلاط وتعميقه، الأول

هو قيام حركة ترجمة واسعة خاصة في عهد المأمون، والثاني هو انتشار الورق الذي أدى إلى تنشيط حركة التأليف والتبادل الفكري بين الأدباء في مختلف المجالات الأدبية والفنية والفلسفية.[36]

كما كان للتراث الفلسفي اليوناني والمنطق الأرسطاليسي أثر في طرائق الجدل والحوار التي اتخذتها أصحاب الفرق الكلامية[37].

شجع خلفاء بني العباس المناظرات بمختلف أنواعها واتجاهاتها، وأقبلوا على المتناظرين يستمعون إليهم ويشجعون أحيانا رأيا معينا من آرائهم[38].

ولما كثرت الخلافات منع هارون الرشيد الجدل في الدين، وحبس أهل الكلام، ولكنه اضطر بعد ذلك للاستعانة بهم وإطلاق حرياتهم حين رأى أثرهم في مناهضة الخصوم وإفحام أعداء الدين[39].

وقد كان علماء الكلام يستندون إلى المنطق لأنه أجلى لظهور الصواب، ولما تولى المأمون الخلافة احتل المعتزلة مكانة رفيعة في الدولة، وظهرت محنة خلق القرآن إلى أن جاء المتوكل فنهى عن الجدل في القرآن، وهذا لا يعني بحال توقف المناظرات ولكن الذي توقف هو تأييد الخليفة لها[40].

ومن أنواع المناظرات في هذا العصر مناظرة الكلب والديك بين النظام ومعبد وقد أوردها الجاحظ في كتابه " الحيوان"، ومنها المناظرات النحوية كتلك التي كانت بين المبرد وثعلب، بجانب المناظرات العقائدية[41].

ب- مكانة المناظرة في الإنتاج الإسلامي :

عمم منهج المناظرة وطبق على معظم الإنتاج الفكري الإسلامي فأكسب بذلك التراث ثراء فلسفيا متميزا، فقد أقيمت مجالس للمناظرة عرفت بالمناظرات، كما وضعت تآليف على طريقة المناظرة في مختلف الميادين، وظهرت صنوف من

الخطابات تقر بالمناظرة منهجا فكريا مثل : خطاب التهافت، وخطاب التعارف، وخطاب الرد، وخطاب النقض[42].

وحيثما وجدت مذاهب ومدارس واتجاهات في مجال من مجالات المعرفة الإسلامية كانت المناظرة طريقة التعامل بينها، وهذا شأن الفقه في (باب الخلاف)، والنحو في (باب القياس) والأدب في (النقائض)[43].

ولم تكن المناظرة وجها من وجوه تفاعل التيارات التي تنتسب إلى قطاع علمي واحد فحسب، بل طبعت أيضا التعامل بين أهل العلم من قطاعات مختلفة كالمناظرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس الفيلسوف[44].

ونظرة فاحصة إلى معجم المناظرة في اللغة العربية ليصيبنا بالدهشة لغناه، وليدل بحق على تداول المسلمين المنهج الجدلي والتزامهم به أكثر من غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها، ونذكر من هذا المعجم على سبيل المثال لا الحصر مجموعة المفردات التالية، وهي – بالإضافة إلى لفظتي المناظرة والمحاورة-: المخاطبة، المجادلة، المحاجة، المناقشة، المنازعة، المذاكرة، المباحثة، المجالسة، المفاوضة، المراجحة، المطارحة، المساجلة، المعارضة، المناقضة، المداولة والمداخلة[45]، وغيرها كثير[46].

المبحث الثاني : المناظرة في القرآن الكريم.

سنتناول في هذا المبحث أهم ما يتعلق بالمناظرة في القرآن الكريم ثمّ دراسة نموذجا من نماذج المناظرة في القرآن، وقد تمّ اختيار مناظرة النبيّ إبراهيم للطاغية نمرود مثالا للدراسة.

أولا : القرآن الكريم والمناظرة

تتجه الاهتمامات والدراسات الحديثة إلى دراسة وسائل الإبلاغ لكل أنواع

الخطابات ولاسيما الخطاب القرآني .

ولا اختلاف في أنّ طريقة الأداء في فن القول حاسمة في إدارة المعنى بالمستوى الذي يريده صاحبه، وإذا اختلفت وسائل أداء المعنى اختلف المعنى تبعا لذلك .

ومن ثمّ فإنّ الأساليب القرآنية في الخطاب تنوعت وتعددت، منها المناظرة التي هي وسيلة توجه بها القرآن الكريم إلى العقل الواعي ليعقل، وإلى الحس المرهف ليتأثر، فلم يترك الخطاب القرآني موقفا يبني الإنسان وعقيدته إلاّ وجعل له أسلوبا مميزا للإبلاغ والتأثير.

ولقد جاء النص القرآني يريد أن يصل للآخر (مضمونا وشكلا) عقائديا وجماليا . فكانت المناظرة وسيلة واجه بها المكذبين والمعاندين، وأمتع بها المتفوقين، وبذلك خاطب القرآن العقل "والضمير" .

لقد أوجد القرآن في أسلوب المناظرة انفتاحا في كل زمان ومكان على القارئ وعلى القراءات للتواصل، إنّ المناظرة تنقل مشهدا من الحياة والكون أمام المتلقي، وهي تقرع العقول والقلوب بالسؤال .

وحسبنا أن هذه الآلية كانت ولازالت الوسيلة الفطرية التي خاطب بها القرآن الجاهلي، وحرك مشاعره بها، وخاطب بها عقول الفلاسفة وأثار كوامنهم بعد أن استغرقتهم الفلسفة كليّا.

ثانيا : أمثلة عن المناظرات في القرآن الكريم

أورد النص القرآني مناظرات عدة بين الأنبياء لأقوامهم بدءا من نوح عليه السلام إلى آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم[47] .

وقد تباينت هذه المناظرات، وتميز كل نبيّ بطريقة خاصة، حيث أنّ فلسفة المناظرة تختلف باختلاف الأقوام واختلاف الأنبياء عليهم السلام.

فنوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل، أُرسل إلى قومه نبيّا ورسولا، فدعاهم إلى عبادة الله وحده ونبذ أصنامهم التي هم عليها عاكفين ، فكان له جدال مع قومه ، انتهى بسوء عاقبة أحلت قومه دار البوار، وجداله مع قومه نبسطه من خلال الآيات التالية: قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ هود: ٢٥ – ٢٦، فأجابوه بقولهم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ هود: ٢٧، فقد أرادوا هزيمته في ذلك الجدال بان اتهموه بأربعة أشياء: أنّه بشر مثلهم، وأن أتباعه من أراذل القوم ، وأنّه ليس له عليهم فضل وأخيرا أنّه من الكاذبين[48]، فكان ردّه عليهم بأربع أيضا يفند فيها مزاعمهم، وزاد عليها أنّه لايتنظر منهم أجرا على تبليغه ودعوته وتلك هي سمة الصادقين[49] ، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود: 28 – 31 ثم كانت الخاتمة التي أعلن فيها قوم نوح عدم قناعتهم بدعوة نوح، وجهرهم بعداوتهم له ومن ثمّ حلول العذاب الذي استحقوه بتكذيبهم في قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ

﴿تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ هود: 32 – 37

ثالثا: مناظرة إبراهيم عليه السلام مع النمرود:

وتظهر من خلال النص القرآني التالي، والذي يحكي تلك المناظرة بأسلوب شيق يأخذ بالأسماع والأفهام على حدّ سواء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ البقرة: 258

1- وجوه ومظاهر الإقناع

لإبراهيم عليه السلام مكانة عظيمة في القرآن الكريم، وممّا يدل على هذه المكانة الرفيعة كثرة ذكره والحديث عنه في ثنايا السور والآيات، حتى بلغ عددها عشرين سورة من القرآن في جوانب مختلفة من حياته وفي أساليب متنوعة من الحوار، في حواره مع نفسه، ومع ربه، ومع الملائكة، ومع قومه ومع الطاغية النمرود.

أما المداخلة فتتحدث عن الحوار والمناظرة التي جرت بينه وبين الملك الطاغية نمرود[50] الذي بلغ به الطغيان حد التخيل أنّه إله يستحق أن يعبد، وقد ناظره إبراهيم وأفحمه بالحجة والبرهان أمام قومه أجمعين.

- أركان مناظرة إبراهيم لنمرود:

أ) الطرفان: كانت بين إبراهيم ونمرود، وقد ذكر المسدي أن هذه المناظرة كانت بعد خروج إبراهيم من النار[51].

ب) الدعوى: وهي موضوع المناظرة ن وهي بذلك النقطة المركزية، والدعوى تنتج أفعالا كلامية هي :

1 – الادعاء: يتجلى في قول إبراهيم ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ البقرة 258

وقد قال هذا إبراهيم عندما طلب منه النمرود دليلا على وجود الرب ؛ أي أن الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لأنها لم تحدث بنفسها فلابد من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له[52] .

2– المنع: هو الاعتراض على الدعوى وقد جاء في قول نمرود ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ البقرة 258.

قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي : « وذلك أن أتى برجلين قد استحقا القتل فأمر بقتل أحدهما فقتل، وأمر بالعفو على الآخر فلم يقتل فذلك معنى الإحياء والإماتة » .

3 – التدليل : تدليل نمرود ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ يعتبر دعوى جديدة في المناظرة والشرط الجوهري في التدليل هو إقناع المعترض بالعدول على منعه .

فنمرود اقتصر تصوره أن صفة الربوبية تتوقف عند الإحياء والإماتة، فانتقل سيدنا إبراهيم من هذه الصفة إلى صفة تدبير الكون وقال له : ﴿ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: 258؛ أي أن ربي الذي يعطي الحياة ويسلبها بقدرته وإرادته ، فإن كنت تستطيع تغيير الشمس التي تطلع من المشرق فحولها وآت بها من المغرب[53] .

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ البقرة: 258؛ فلم يجد نمرود جوابا[54] .

ج) المآل: لابد للمناظرة من مآل تنتهي فيه بعجز أحد المتناظرين، والمناظرة تنقسم إلى ثلاثة مراحل[55] :

1- مرحلة المبادئ: إبراهيم مؤمن بأنّ الله هو الذي يحي ويميت ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، فأصبح الحديث حول الإحياء والإماتة، فردّ نمرود ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾.

2 – مرحلة التواسط: وهي مرحلة تصارع الدلائل، فانتقل سبب إبراهيم من دليل الإحياء والإماتة إلى دليل عالم الأفلاك، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ البقرة: 258

3 – مرحلة المقاطع : وهو اليقين الذي يجب التسليم به بالضرورة العقلية.

وكانت نهاية نمرود دخول بعوضة في منخره فمكث يضرب رأسه بالمطارق حتى أماته الله تعالى[56].

د) الآداب : ألا يكون في الدعوى أو الدليل الذي يقيمه المناظر فيه تناقض فإذا كان كذلك فكلامه ساقط بداهة[57]، يظهر ذلك في قوله تعالى ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، وليس من آداب المناظرة الطعن في أدلة المناظر، وإبراهيم لم يطعن في أدلة نمرود المناظر.

ومن آداب المناظرة عدم تعصب المتناظرين لأفكارهما[58] .

2 – وسائل المناظرة :

أ) الحوار: دعوة الرسل تستلزم الحوار المتواصل بين الرسول والمرسل إليه فكان

إبراهيم في حواره الأول مختارا ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ثم ضيق على نمرود ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ البقرة: 258

ب) الجدل : قدرة كلامية وبراعة حجاجية تستخدم لإثبات الحق لو أرادت النفس سلوك الخير ، أو العكس التشبث بالباطل[59] .

وعند قول نمرود ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ كان مجادلا منكرا للوحدانية، ومكذبا للنبوة ويحكي جداله الكبر والمكانة الاجتماعية التي مكنته من الإدعاء لنفسه الربوبية.

3- وجوه ومظاهر الإمتاع في المناظرة : الدراسة الأسلوبية

أ-الفاصلة القرآنية :

ونعني بها النهاية التي تذيل الآيات القرآنية[60] وهي حروف متشاكلة في المقاطع وجاءت في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وجاءت ملخصة لمضمون النص القرآني أو ملخصة لمضمون ذلك الحجاج والمناظرة للآيات السابقة قَالَ تَعَالَى:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ البقرة 258، والآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، فالفاصلة بقوتها الصوتية وبطولها دلت على تحقيق القانون الإلهي ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

لقد رسمت المقاطع الصوتية نفسيات المتناظرين بالمد الطويل في بداية المناظرة والتعبير عن الهدوء الذي ساد نفسياتهما ، ثم عندما انتقل الحديث إلى مظاهر الكون عند إبراهيم سادت المقاطع المقفلة ، ثم جاءت مقاطع قصيرة لتنتهي المناظرة .

ف – / بُ / هـ – / ت – لْ / ل – / ذي / ك – / ف – / ر – /

وتنتهي حجة نمرود كدليل على مهانته، وفي الأخير تأتي الفاصلة راسمة لنهاية المناظرة.

ب- المقاطع الصوتية: جاءت منسجمة مع مراحل المناظرة راسمة نفسيات المتناظرين .

- إن مقطع / حاج / جيء ملفت للانتباه مغرق في الطول إغراق نمرود في تطاوله، ثم أن إبراهيم أراد أن يبهت النمرود ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ هذه الهمزات المحبوسة جاءت بعد الإبهات تحمل معاني التحدي .

/ي – أ/ وكذلك / ف – أ/

- يتجلى لنا إمتاع المناظرة من حيث جماليات أصواتها وحروفها التي تألقت في شكل رائع فامتزجت فيها الجزالة بالليونة فرصفت بعضها بجانب بعض من جهر وهمس وشدة ورقة هذا الذي أعطى إمتاعا للأذن والأسماع، ورقة وانسيابا للأفهام.

ج-الدراسة التركيبية :

في النص جملتان فعليتان :

- ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة258.

فالهمزة في (ألم) همزة استفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي ، فمعناه (أرأيت

الذي حاج إبراهيم).

فألم " تر" تعجيب من محاجة نمرود في الله وأيضا هي تهيئة للمتلقي للمناظرة دون الإطالة عن طريق الظرف / إذْ / فالظرف أحضر الزمان الماضي والمناظرة كاملة بمشهدها أمام القارئ .

﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ فبهت مبني للمجهول للدلالة على المفاجأة فلو ذكر الفاعل لاستغرق ذلك زمنا طويل ، ولقد أحدث الاختزال للفاعل جمالية للنص .

– وجيء باسم الموصول الذي فكفر تدل أنه كان في الماضي أما بعد المناظرة فقد يعجز ولكنه لم يظهر ذلك تكبرا فقال ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ وهي جملة إسنادية تدل على الثبات وعدم التجدد أي إعلان عن السكوت الفاصل بين الجدل .وحتى الجمل الإسمية چ چ چ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ چ أراد بها إبراهيم إثبات صفتي الإحياء والإماتة لله .

– مجيء الفعلين في الخبر دلالة على استمرار هاتين العمليتين حتى قيام الساعة .

د–الدراسة الدلالية :

لو أخذنا الآية ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾

فبهت : أي أعجزه عن الجواب، فبينت لنا مآل المناظرة بإلزام نمرود بادعائه أنه يستطيع أن يأتي بالشمس من المغرب .

إن الإمتاع في المناظرة واقع في عرض اللفظة القرآنية للنفوس البشرية مصورة إياها مؤدية المغزى المرسوم لها .

فالإمتاع في المناظرة رسم لمشهد الحق ومشهد الباطل على مرّ الأزمنة، ولنقل الخطاب وكأنه خطاب تتجدد صورته وحادثته على هذا النحو معبرا بالصورة

والكلمة عن المعنى العقلي الذهني والحالة النفسية، فإذا المعنى الذهني حركة وإذ بالنموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة ومرئية[61].

– فلفظة بهت لها جمال موسيقي في سياقها أيضا تحتوي على مساحة تعبيرية ودلالية كبيرة تختزل معاني الحس والصورة والخيال .

إن جمال لغة المناظرة في حسن تخيّرها للألفاظ الدالة على الدعوى، القضية الأساسية في المناظرة، وإلى حسن المحاججة ، فقد اجتمعت الكلمة بإيقاعاتها والحوار والوصف والفواصل بجرسها ودلالة السياق .

الخاتمة

لقد تكامل الخطاب الديني والجمالي الإيقاعي والإمتاعي في توصيل الخطاب القرآني لكل متلق، معلنا عجز كل واحد أن يجاري قدرة الله في خلقه وفي نظمه .

وتظل المناظرة آلية تستمد منها الأجيال آليات الحوار والجدال بالحق بل إنّ المناظرة آلية مستمرة ومفيدة لا تندثر مادامت مستمدة من القرآن الكريم، وتهدف إلى الحق وتبيان الصراط المستقيم.

الحواشي والإحالات:

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون،دار الجيل ، بيروت ط 1991،1م،ج5،ص444.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 1414ه ،ج 5 ، ص: 219

[3] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق عبد العظيم الطحاوي، مطبعة الكويت، الكويت ،دط،دت،ج14،ص254.

[4] ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج5، ص217.

[5] الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1983،1م، ص231–232.

[6] عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم دمشق ،ط5،

1998، ص371.

[7] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق ،ج11، ص103.

[8] الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، تحقيق نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي، دط، 1972م،ص87.

[9] الشريف الجرجاني ، التعريفات ،مصدر سابق، ص 74.

[10] محمد التومي، الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ، شركة الشهاب ، الجزائر، دط، 1979م، ص08.

[11] محمد أبو زهرة ، تاريخ الجدل، دار الفكر ،بيروت، ط3،دت ،ص27-29.

[12] الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط3، دت ،ج27،ص 29.

[13] ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج4 ،ص 218.

[14] ينظر: محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن قواعده وأساليبه ومعطياته ، دار المنصوري للنشر، الجزائر ،دط ، دت ، ج1 ،ص13.

[15] عليّ جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1410هـ-1989م، ص66.

[16] أحمد الهاشمي ن جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، دار الفكر، مصر، دط ،دت، ج1 ، ص256.

[17] حفني عبد الحليم ، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ن دط ، 1985م ، ص5.

[18] طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000م ، ص 71.

[19] يراجع: طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المصدر نفسه، ص70-73.

[20] عليّ جريشة، أدب الحوار والمناظرة، المرجع السابق، ص66.

[21] يراجع : طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار ، مرجع سابق ، ص71-72.

[22] المرجع نفسه ،ص 36-37.

[23] ينظر: عبد الرحمن حبنكة ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، مرجع سابق، ص363-369.

[24] يراجع: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة ، بيروت، ج3، ص117-120.

[25] راجع: د.إبراهيم عبد الكريم سندي،(الحوار والمناظرة في الإسلام، احمد ديدات نموذجا في العصر الحديث)، مجلة جامعة أم القرى علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد 46، محرم 1430هـ، ص39-40 بتصرف، خالد خميس فراج ، المناظرة ، مقال منشور في الشبكة العنكبوتية، تاريخ التصفح 20/06/ 2016.

[26] حسن الصديق ، المناظرات في الأدب العربي الإسلامي ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، 2000، ص101.

[27] حسن الصديق ، المناظرات في الأدب العربي الإسلامي ، مرجع سابق، ص101.

[28] المرجع نفسه ،ص101.

[29] أحمد أمين مصطفى ، المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النمر، دط، 1914م،ص13-14.

[30] د. فتحي الدريني، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا، ط2، 1305هـ-1985م، ص4.

[31] أحمد أمين مصطفى ، المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص13-14.

[32] حسن صديق ، المناظرات في الأدب العربي ، مرجع سابق، ص 103-106.

[33] المرجع نفسه، ص 103-106.

[34] محمد أمين مصطفى ، المناظرات في الأدب العربي، مرجع سابق، ص25.

[35] محمد أمين مصطفى ، المناظرات في الأدب العربي، مرجع نفسه ، ص62-29.

[36] حسن صديق ، المناظرات في الأدب العربي ن مرجع سابق، ص113.

[37] أحمد أمين، ضحى الإسلام ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 2003م، ج2، ص8-10.

[38] أحمد أمين، ضحى الإسلام ،المرجع نفسه، ج2، ص54-58.

[39] محمد مصطفى أمين ، المناظرات في الأدب، مرجع سابق ،ص32-41.

[40] أحمد أمين، ضحى الإسلام ،المرجع نفسه، ج2، ص45-47.

[41] محمد مصطفى أمين ، المناظرات في الأدب، المرجع نفسه ،ص32-41.

[42] طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، مرجع سابق ، ص68.

[43] طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المرجع نفسه ، ص68.

[44] طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المرجع نفسه، ص69، صلاح الدين محمد عبد التواب ، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن ، دار الكتاب الحديث ، 2003، ص9.

[45] صلاح الدين محمد عبد التواب ، النقد الأدبي ، المرجع نفسه، ص8.

[46] طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، مرجع سابق نص68-69.

[47] راجع تفصيل ذلك في : عليّ جريشة، أدب الحوار والمناظرة، المرجع السابق، ص136-145، محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، دار الملاك، بيروت، ط5، 1417ه-1996م، ص229-314.،

[48] راجع: عليّ جريشة، أدب الحوار والمناظرة، المرجع نفسه، ص136-137.

[49] عليّ جريشة، أدب الحوار والمناظرة، المرجع نفسه، ص136-137.

[50] النمرود : قال المفسرون عنه أنه ملك بابل واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، ينظر قصص الأنبياء ، ان كثير ، تحقيق : أحمد عبد العزيز ، مكتبة دار الثقافة ، عمان ، ط 3 ، 1993 ، ص 121.

[51] ابن كثير، تفسير ابن كثير ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1981 ، م3، ص557.

[52] المصدر نفسه ، م3، ص557 .

[53] أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الفكر ، مصر ، د ط ، د ت ، م1 ، ج3، ص21.

[54] المرجع نفسه ، م1 ، ج3، ص21.، ص376.

[55] الميداني ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، المرجع السابق

[56] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، د ط ، د ت ، 1ج، ص116.

[57] الميداني ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، المرجع السابق، ص 367.

[58] المرجع نفسه، ص363.

[59] محمد التومي ، الجدل في القرآن الكريم ،المرجع السابق.

[60] بكري الشيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط4 ، 1980 ، ص203.

[61] سيد قطب ، التصوير الفني للقرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط16، 2002م ، ص 36 - 37.